المحاضرة التاسعة

القصة القرآنية، خصائصها وأهدافها

أولا: تعريف القصة.

القَصُّ في اللغة هو: تتبع الأثر، فالقاف والصاد أصل صحيح يدل على تتبع الشيء واقتصصت الأثر، أي: تتبعته، قال تعالى: ﴿فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ الكهف: ٦٤، أي: رجعا يقصان الأثر الذي جاءا به، وقال عز وجل على لسان أم موسى: ﴿وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتۡ بِهِۦ عَن جُنُبٖ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ القصص: ١١ أي: تتبّعي أثره حتى تنظري من يأخذه، ومنه اشتقاق القصاص في الجراح، وذلك أنه يفعل له مثل فعله بالأول، فكأنه اقتص أثره، ومن هذا الباب أيضا: القصة والقصص كلّ ذلك يتتبع فيذكر، والقصص -كذلك- الأخبار المتتبعة، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٦٢﴾ آل عمران: ٦٢، و تطلق "القصة" على الأمر، والخبر، والشأن، والحال[1].

وفي الاصطلاح هي: سرد أحداث ذات مراحل يتبع بعضها بعضًا.

وقصص القرآن الكريم هي: سرد أخبار الأمم الماضية، والنبوات السابقة، ولا شك أنها أصدق القصص، لقوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾ النساء: ٨٧، وذلك لتمام مطابقتها للواقع، وهي -أيضا- أحسن القصص، لقوله تعالى: ﴿نَحۡنُ

(1) معجم مقاييس اللغة، ج: 05، ص: 11.

نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾ يوسف: ٣، وذلك لاشتمالها على أعلى درجات الكمال في البلاغة وجلال المعنى[2].

ثانيا: خصائص القصة.

إن الناظر في القصص القرآني؛ يجده على ثلاثة أضرب: ضرب خاص بقصص الأنبياء السابقين، كقصة سيدنا موسى عليهم السلام، وضرب خاص بالأحداث الغابرة كقصة أهل الكهف، وضرب خاص بالحوادث التي وقعت في زمن رسول الله ﷺ كغزوة بدر، وقد تميزت القصة القرآنية بخصائص مهمة، وهي كالآتي:

❖ من خصائص القصة القرآنية أنها واقعية؛ وليست خيالية، ولا تمثيلية، ولذلك نجد لها أثرا بالغا في نفس القارئ أو السامع.

❖ ومن خصائصها أيضا؛ أنها تجمع في ثناياها بين أحوال الصالحين والطالحين وتبين مآل كل منهما في الدنيا والآخرة، كما قصة أصحاب الأخدود.

❖ ومن خصائصها أيضا؛ التكرار، حيث إننا نجد القصة الواحدة في مواضع متعددة من القرآن الكريم، ونجد -أيضا- مع التكرار تنويعا في العبارة والأسلوب، وتجديدا في طريقة العرض، متنقلة بين الطول، والقصر، والتوسط بين ذلك؛ مثل قصة سيدنا موسى عليه السلام.

❖ ومن خصائصها أيضا؛ أنها إذا تكررت فإنها لا تذكر كل تفاصيلها -غالبا- في موضع واحد، بل يذكر بعضها في موضع، وبعضها الآخر في موضع آخر، طلبا

(2) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان، ص: 316، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، 2000م.

للتكامل والتناسق، حتى يكون القرآن الكريم كتلة واحدة؛ لا ينفصل جزء منها عن جزء آخر.

❖ ومن خصائصها أيضا؛ أنها تعتمد على الحوار، لأنه يضفي على القصة عنصر التشويق، ويدفع الملل.

❖ ومن خصائصها أيضا؛ أنها تركز على الشخصيات التي لها مواقف بارزة وهادفة والتي تؤدّي الغرض المطلوب؛ سواء من جهة الترغيب؛ أم من جهة الترهيب، فلو نظرنا في قصة سيدنا موسى عليه السلام، لوجدنا أنها ركزت على ذكر موسى عليه السلام وفرعون، أما باقي الشخصيات فاكتُفِيَ بذكر بعض أوصافهما، كقوله تعالى: ﴿هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ القصص: ١٥، كما ذكر أم موسى عليه السلام وأخته في أثناء القصة لعلاقتهما ببعض محاورها[3].

ثالثا: أهداف القصة.

❖ تجعل القارئ دائما بين الخوف والرجاء، والترغيب والترهيب، والتحذير والتبشير والوعد والوعيد، فتعتدل بذلك حاله وتصلح.

❖ تهدف إلى ترسيخ المعاني، وغرس القيم النبيلة، وتأكيد الفضائل من خلال تكرار القصص وإعادتها في أكثر من موضع من القرآن الكريم.

❖ تهدف إلى إثبات نبوة محمد ﷺ، لأنه كان يأتي قومه بأخبار الأوّلين، التي كانت عند أحبارهم، فيجدونها صادقة صحيحة، بل ترجعهم إلى الصواب الذي

(3) انظر: **المدخل إلى علوم القرآن**، لمحمد فاروق النبهان، ص: 263-265، دار عالم القرآن، حلب سورية، الطبعة الأولى، 2005م، **ومباحث في علوم القرآن**، لمناع القطان، ص: 319.

خرجوا عنه بالتحريف والتبديل، وكانوا يطمحون إلى تعجيزه بمطالبتهم إياه ببعض القصص الغابرة، فكان القرآن ينزل بها عليه ﷺ، بدقة متناهية في العرض والتفصيل، كقصة ذي القرنين وأصحاب الكهف.

❖ تثبيت قلب نبينا محمد ﷺ والمؤمنين، لأن في تلك القصص بيانا لنصر المؤمنين وهلاك الكافرين، ولأن الفضل لأهل الإيمان في الدنيا وفي الآخرة[4].

(4) انظر: **علوم القرآن الكريم**، لنور الدين بن محمد عتر، ص: 240-243، مطبعة الصباح، دمشق سورية الطبعة الأولى، 1993م، **ومباحث في علوم القرآن**، لمناع القطان، ص: 318.